الفصل الأول

عوامل النشأة والتسمية

obeikandl.com

الفصل الأول
عوامل النشأة والتسمية

❁ المبحث الأول: عوامل نشأة الخوارج.

❁ معنى الخوارج: –

الخوارج: جمع تكسير لخارجة؛ لأن فواعل جمع فاعلة، أو فاعل غير عاقل[(١)].

ولغة: من الخروج، مصدر من:خرج، نقيض الدخول، وخارج كل شيء ظاهره، يقال: خرجت خوارج فلان: إذا ظهرت نجابته، والخارجي: كل ما فاق جنسه ونظائره، والخارجي: من يسود بنفسه من غير أن يكون له قديم، ومنه:

أبا مروان لست بخارجي ولـيس قديم مجدك بانتحال[(٢)]

ويقال للسحاب أول ما ينشأ: ما أحسن خروجه، وخرج فلان في العلم والصناعة: إذا نبغ[(٣)].

---

(1) شرح ابن عقيل ٤/ ١٣١. دار التراث – القاهرة، الطبعة العشرون، رمضان ١٤٠٠هـ يوليو ١٩٨٠م

(2) البيت لكثير عزة.

(3) لسان العرب، جمال الدين بن منظور ٢/ ٢٤٩ –٢٥٠، دار صادر – بيروت – الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠ م. القاموس المحيط، الفيروزبادي ١/ ١٨٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ١/ ٢٢٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة ١٩٨٥م.

واصطلاحاً: اختلفت الأنظار في تحديد إطار للخوارج تبعا للاختلاف في صفاتهم وأفكارهم وخصائصهم، حيث يضع البعض تعريفا عاما، الشهرستاني، حيث يعرفهم قائلا: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان"[(١)].

وهذا تعريف عام، يشمل الفرقة التاريخية المعروفة، ويشمل غيرها من الفرق الأخرى التي تشترك معهم في الخروج على الإمام.

وبعضهم جعل للفرقة تعريفا خاصا بها، وقاصرا عليها، فهم "الذين خرجوا على الإمام علي في حروراء[(٢)]، ومن نشأ منهم بعد ذلك"[(٣)].

وهذا تعريف خاص بالفرقة التي خرجت على الإمام علي ﷺ، ويضم إليها ما تفرع ونشأ عنها من انقسامات تاريخية مشهورة.

لذلك فإن ابن حجر العسقلاني[(٤)]عمم تعريف الخوارج، لكنه جعل

---

(1) الملل والنحل ١/ ١٠٥.

(2) حروراء: قرية من قرى الكوفة، بينهما نصف فرسخ، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل بها الخوارج. معجم البلدان ٢/ ٢٤٥.

(3) دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٧٠، مرجع سابق.
القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب ص ١١٥، دار الفكر – دمشق – الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(4) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان، ومولده ووفاته في القاهرة، أقبل على الحديث، وعلت شهرته فقصده الناس، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، له تصانيف كثيرة، منها " فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة".الضوء

للمصطلح أقساما، فقال: "وهم قسمان، الأول: من تقدموا من أهل النهروان، الثاني: من خرج في طلب الملك لا للدعاء إلى معتقده، وهم على قسمين أيضا: قسم خرجوا غضبا للدين من أجل جور الولاة وترك عملهم بالسنة النبوية، فهؤلاء أهل الحق، ومنهم الحسين بن علي[(١)]، وأهل المدينة في الحرة، والقراء الذين خرجوا على الحجاج[(٢)]، وقسم خرجوا لطلب الملك فقط، سواء كانت فيهم شبهة أم لا، وهم البغاة "[(٣)].

وعلى هذا فيمكننا أن نقول إن النظرة للتعريف لها وجهتان، الأولى: وجهة لغوية، وتشمل كل من خرج على الإمام قديما وحديثا، ونظرة تاريخية: تشمل الفرقة المعروفة التي خرجت على الإمام علي ﷺ وحدثت لها تلك الانقسامات المشهورة.

لكن ليس هناك انفكاك بين النظرة التاريخية والنظرة اللغوية، لأن كل من يطلق عليه لفظ الخوارج باعتبار المعنى اللغوي، إنما ينظر إليه باعتباره يحمل أفكار الفرقة المعروفة، حتى أن من كتب عن أصحاب هذا الفكر في

اللامع ٢/ ٣٦، الأعلام ١/ ١٧٨

(1) سبط رسول الله ﷺ، أشبه الناس برسول الله، وهو سيد شباب أهل الجنة، خرج على يزيد، حتى قتل في كربلاء. سير أعلام النبلاء٣/ ٢٨٠، التاريخ الكبير ٢/ ٣٨١.

(2) الحجاج بن يوسف الثقفي، ذو شجاعة ومكر ودهاء وتعظيم للقرآن، تولى المشرق والعراق كله عشرين عاما، كان ظلوما جبارا خبيثا، له حسنات مغمورة في بحر سيئاته مات في رمضان سنة ٩٥هـ. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣، البدء والتاريخ ٦/ ٢٧.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني ١٢/ ٢٩٨، دار الريان للتراث – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

العصر الحاضر إنما سماهم الخوارج، وعليه فإن معاني هذا المصطلح متصلة ولا انفكاك بينها.

۞ أصل الخوارج: -

يجتهد الباحثون في بيان نسبة الخوارج إلى أصلها الأول، وهناك آراء كثيرة حول هذه التسمية، لا يمكن الجزم بواحد منها، لأن أي رأي منها قد وجه إليه اعتراضات، لكن اجتماع هذه الآراء قد يلقي ضوءاً حول أصل الخوارج، ونسبتهم الأولى.

۞ الرأي الأول: رجوع النسبة إلى عهد النبي ﷺ.

يحاول الكثير من مؤرخي الفرق الرجوع بأصول مذاهبهم إلى أيام النبي ﷺ[1]. من هذه المحاولات إثبات أن بعض الأحاديث الواردة، والتي أخبر فيها النبي ﷺ عن طوائف ستظهر أن هذه الأحاديث تتحدث عن أصول الخوارج، وأنهم كان لهم وجود، أو بالأحرى كان لأصلهم وجود على عهد النبي ﷺ.

وتشير الأحاديث التي ورد فيها ذكر الخوارج إلى أوصافهم والأمر بقتالهم

---

(1) وجدت هذه المحاولة لدى أغلب الفرق الإسلامية، فالمعتزلة مثلا يعددون طبقاتهم على ما فصله قاضي القضاة من رسول الله ﷺ إلى حده عشر طبقات، ويعدون الطبقة الأولى: الخلفاء الأربعة، وجمع كبير من الصحابة. انظر: فرق وطبقات المعتزلة. تحقيق د/ علي سامي النشار، و أ/ عصام الدين محمد علي. دار المطبوعات الجامعية ١٩٧٢م وإن كان رجوع أصول الخوارج إلى عهد النبي ﷺ في معرض الذم واللعنة، أما المعتزلة فإنهم يفعلون ذلك رفعا لمذهبهم، والتماسا لأصول مذهبهم في أقوال السلف.

وذمهم، وقد صحت هذه الأحاديث بأوجه عديدة بلغت عشرة أوجه[١]، وهو ما يلحظ فيه جانب الإعجاز في إخبار النبيﷺ[٢].

ومن هذه الأحاديث: عن أبي سعيد[٣]ﷺ قال: بعث علي ﷺ بذهيبة، فقسمها بين الأربعة: الأقرع بن حابس الحنبلي ثم المجاشعي[٤]، وعيينة بن حصن الفزاري[٥]. وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان[٦]، وعلقمة بن علاثة العامري أحد بني كلاب[٧]، فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطي

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٢٧٩، ٣٤٩.

(2) الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة، الدكتور: عامر النجار ص ٣٥–٤٢، دار المعارف

(3) سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الخزرجي، صحابي جليل، استشهد أبوه يوم أحد، وشهد هو الخندق وبيعة الرضوان، وغزا اثنتي عشرة غزوة، كان من أفقه أحداث الصحابة توفي سنة ٦٤هـ. الاستيعاب ٢/ ٤٧، الإصابة ٢/ ٣٥.

(4) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي، أحد المؤلفة قلوبهم، شهد مع النبي ﷺ فتح مكة وحنينا والطائف، كان شريفا في الجاهلية والإسلام، استعمله عبد الله بن سعيد على جيش خراسان فأصيب. الإصابة ١/ ١٠١، الطبقات الكبرى ٧/ ٣٧، الثقات٣/ ١٨.

(5) عيينة بن حصن الفزاري، أبو مالك، له صحبة وكان من المؤلفة قلوبهم، أسلم قبل الفتح وشهده، وشهد حنينا والطائف، ارتد في عهد أبي بكر ولحق بطلحة، ثم عاد إلى الإسلام، مات في آخر خلافة عثمان، وله عقب كثير. الإصابة ٤/ ٧٦٧، الثقات ٣/ ٣١٢.

(6) زيد الطائي: زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب، وفد على النبي ﷺ سنة ٩ هـ، سماه النبي ﷺ زيد الخير، ورد ذكره في حديث في الصحيحين.
الإصابة ٢/ ٦٢٢، الثقات ٣/ ١٤١

(7) علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص العامري، له صحبة، استعمله عمر بن الخطاب على حوران فمات بها، ثبت ذكره في الصحيح.
الإصابة ٤/ ٥٥٣، الثقات ٣/ ٣١٥.

صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: إنما أتألفهم. فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: «**من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟!**» فسأل رجل قتله –أحسبه خالد بن الوليد[١] – فمنعه، فلما ولى قال: «**إن من ضئضئ هذا، أو في عقب هذا قوم يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[٢].

وللحديث روايات كثيرة صحيحة، وإن كان يوليوس فلهوزن[٣]

---

(1) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، أبو سليمان، أسلم سمة ٧هـ بعد خيبر، وقبل غزوة مؤتة بشهرين، وكان النصر على يديه، وسُمي سيف الله، مات بحمص على رئاسته سنة ٢١هـ.

الإصابة ٢/ ٢٥١، طبقات خليفة ص ٢٩٩، الطبقات الكبرى ٤/ ٢٥٢، التاريخ الكبير ٣/ ١٣٦.

(2) رواه البخاري: كتاب " أحاديث الأنبياء " باب " قول الله{وإلى عاد أخاهم هودا}" ٦/ ٤٣٣ رقم ٣٣٤٤.

وكتاب " المغازي " باب " بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن" ٧/ ٦٦٥ رقم٤٣٥١.

وكتاب " التفسير" باب " والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب " ٨/ ١٨١ رقم ٤٦٦٧.

وكتاب: "التوحيد " باب "قول الله{تعرج الملائكة والروح إليه}"١٣/ ٢٦ رقم ٧٤٣٢.

ومسلم: كتاب " الزكاة " باب " ذكر الخوارج وصفاتهم " ٢/ ٧٤١ رقم ١٠٦٤.

(3) يوليوس فلهوزن [١٨٤٤-١٩١٨] ألماني، بدأ دراسة اللاهوت لنقد التوراة، ثم تخرج باللغات الشرقية على إيفالد في "جوتنجين"، آثاره كثيرة، منها: " تاريخ اليهود"، " محمد في المدينة "، " التمهيد للتاريخ الإسلامي".

obeikandl.com

يرى أن "هذه القصة عن السلف القديم للخوارج قصة أسطورية، ولكن من الصحيح أن محمدًا كان يتصرف في الغنائم والأموال العامة حسبما يتراءى له، كما كان هذا شأن عثمان[١]، وخلفه علي، وأن ما أخذ على ذاك يمكن أن يؤخذ بالدرجة عينها على النبي، وما يعنيني هنا قبل كل شئ هو نقد الخوارج الصائب هاهنا، فالتشدد في مبادئ الإسلام يفضي بهم إلى أن يتجاوزوا بنقدهم على النبي نفسه"[٢].

وهذا الحديث يؤخذ منه بعض صفات الخوارج، وهي كثرة العبادة، مع عدم الفهم «**يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم**»، وأنهم يتعاملون مع خصومهم من أهل الإسلام تعامل تكفير واستحلال للدم «**يقتلون أهل**

المستشرقون، نجيب العقيقي ٢/ ٣٨٦–٣٨٧، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

(1) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين، ولد قبل الفيل بست سنين، ذو النورين، أسلم قديما، وهاجر الهجرتين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولي الخلافة بعد عمر ﷺ، قتل سنة ٣٥هـ.

طبقات ابن سعد ٣/ ٣٩، صفة الصفوة ١/ ١٣١

(2) أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام:الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن ص٤٥، ترجمه الدكتور: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت طـ ثالثة ١٩٧٨م. ويعلق الدكتور: مصطفى حلمي على هذا الرأي قائلا: (ولكن الجدير بالتأمل هو النزعة التي تظهر لأول وهلة عند فلهوزن بما تحمله من دلالة لنظريات المستشرقين بوجه عام، هذه النزعة التي تمجد كل رأي يخالف أهل السنة والجماعة، وتبحث وتنقب دون يأس أو كلل عن آراء المخالفين لأهل السنة لإبرازها، وخدمتها، وعرضها على أوسع نطاق) انظر: الخوارج، الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم ص ٢٥. مطبعة التقدم – توزيع دار الأنصار – الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م.

الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»، وقد يفسر هذا قصة أهل النهروان مع عبد الله بن خباب بن الأرت[١].

ورغم الارتباط بين الحديث وبين الخوارج، إلا أن ظهور الخوارج الفعلي كان متأخرا عن الحديث بفترة طويلة، غاية الأمر أن الخوارج امتداد لهذا المعترض على رسول الله ﷺ في تجرئه على الشرع في شخص النبي ﷺ، وفي سطحيته في فهم الدين وأحكامه، خاصة إذا علمنا أن كثيرا من الخوارج كان من بني تميم[٢]، التي ينتسب إليها ذلك المعترض.

❁الرأي الثاني: الخلاف حول التحكيم:-

يذهب كثير من مؤرخي الفرق إلى أن التحكيم كان السبب الرئيسي في ظهور الخوارج على الساحة الإسلامية، وتتلخص قصة التحكيم في أنه لما اشتد القتال في صفين[٣]، قال عمرو بن العاص[٤] لمعاوية: هل لك في أمر

---

(1) ستأتي القصة كاملة، وعبد الله بن خباب بن الأرت التميمي، ثقة من كبار التابعين، وذكره الطبراني في الصحابة، له رؤية، ولأبيه صحبة، روى ابن منده أنه مولود في الإسلام: عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن خباب، قتلته الحرورية عام ٣٧هـ.

الإصابة٤/ ٧٣، طبقات ابن سعد ٥/ ٢٤٥، التاريخ الكبير ٥/ ٧٨، تهذيب الكمال١٤/ ٤٤٦

(2) دائرة المعارف الإسلامية. أحمد الشنتناوي ٨/ ٤٧٠

(3) صفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، بين الرقة وبالس، وقعت بها الموقعة الشهيرة بين علي ومعاوية. معجم البلدان ٣/ ٤١٤.

(4) عمرو بن العاص السهمي القرشي، أسلم عام الحديبية، فتح مصر وولي إمرتها مرتين، ولاه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل، مات بمصر سنة نيف وأربعين.

طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٤، التاريخ الكبير ٦/ ٣٠٣ رقم ٢٤٧٥، معرفة الثقات

أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعا، ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف، ثم نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها، وجدت فيهم من يقول: بلى ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذه الحرب إلى أجل أو إلى حين[١].

وقد حدث ذلك فعلا، حيث انقسم أهل العراق إزاء هذا الأمر. فقد علم علي ﷺ ما في الأمر من خديعة، وحاول تحذير قومه وتنبيههم إلى أن ذلك خدعة ومكرا، وأنه أعلم بالقوم منهم، وأنهم **"ما رفعوها إلا خديعة ودهاء ومكرا"**[٢]، فثار عليه القوم في عصابة من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج وقالوا: يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا دفعناك برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك. قال: فاحفظوا عني نهيي إياكم، واحفظوا مقالتكم لي[٣].

وبهذا دبت الفرقة في جيش الإمام علي، لأنه لما كتب كتاب التحكيم، وخرج الأشعث بن قيس[٤] يقرأ الكتاب على الناس، ويعرضه عليهم، مر

٢/ ١٧٨ رقم١٣٩١.

(1) تاريخ الطبري ٣/ ١٠١، البداية والنهاية ٧/ ٢٧٣

(2) البداية والنهاية ٧/ ٣٧٤.

(3) الطبري ٣/ ١٠١، البداية والنهاية ٧/ ٢٧٤

(4) الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أمير كندة في الجاهلية والإسلام، وفد على النبي ﷺ بعد ظهور الإسلام، شهد اليرموك وأصيبت عينه، امتنع عن أداء الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ ثم عاد وفد على أبي بكر وزوجه أخته، شهد وقائع عديدة وأبلى بلاء حسنا.

على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أدية[١] فقرأه عليهم، فقال عروة: تحكمون في أمر الله ﷻ الرجال، لا حكم إلا لله، ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابته[٢].

ولما قال هذه الكلمة انتشرت في أرجاء جيش العراق، وأقبل الناس إلى الحرب مرة أخرى، حتى طالبوا الإمام علي باستئناف القتال، لكنه ﷺ رفض التزاما بما اتفق عليه الطرفان.

وعند رجوع جيش العراق إلى الكوفة[٣] كان على غير الحالة التي ذهب بها، فقد دبت الفرقة في صفوفه، واختلف الناس "خرجوا مع علي وهم متوادون أحباء، فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من معسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله، ويضطربون بالسياط، يقول الخوارج: يا أعداء الله، في أمر الله ﷻ حكمتم، وقال الآخرون: فارقتم إمامنا وفرقتم جماعتنا"[٤].

ولما دخل علي ﷺ الكوفة اعتزل عدد من جيشه إلى مكان يقال له حروراء، وقد نادوا أن **"لا حكم إلا لله"**، وكان ذلك بداية لظهور الفرقة التاريخية المعروفة **"فبعد أن كان المسلمون فريقين: أهل العراق يقودهم علي،**

تاريخ بغداد ١/ ١٩٦، خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٤٦٥، الأعلام ١/ ٣٣٢.

(1) ستأتي ترجمته في أشهر زعماء الخوارج.

(2) تاريخ الطبري٣/ ١٠٤، البداية والنهاية ٧/ ٢٧٨، مروج الذهب للمسعودي١/ ٥٩١، ٥٩٢.

(3) الكوفة: مصر مشهور بأرض بابل بالعراق، فتحت في عهد عمر ﷺ سنة ١٧هـ، ووليها سعد بن أبي وقاص.انظر: معجم البلدان: ٤/ ٤٩٠.

(4) الطبري ٣/ ١٠٨.

وأهل الشام يقودهم معاوية، ظهر الفريق الثالث وهم المحكمة"[١].

والملاحظ هنا هو اضطراب رأي الخوارج، وسرعة تغيير مواقفهم، فبعد أن حملوا الإمام عليّ على قبول التحكيم، رغم معارضته لذلك، عادوا فرفضوا التحكيم، وأعلنوا مبدأهم **"لا حكم إلا لله"** معترفين أنهم أخطأوا وأذنبوا ثم تابوا من هذا الذنب، ويدعون الإمام عليّ إلى التوبة أيضا، لكنه قال: "ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي، وضعف من العقل، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه"[٢].

وعلى هذا فإن حادثة التحكيم كان لها أثر كبير في ظهور فرقة الخوارج، أو على الأقل في ظهور شكل هذه الفرقة، وإعلانها لآرائها، وانحيازها إلى مكان معين، لكننا لا يمكن أن نعتبرها السبب الرئيسي في تكوين هذا الحزب "إذ لا يمكن أن يكون هذا الحزب قد تكون دفعة واحدة، بل لا بد أن فكرة هذا الحزب التي تكونت حولها مبادؤه الأولى كانت منتشرة في فئة من المسلمين، أو أنها تتفق مع أغراض أو أفكار أخرى كانت تشغل بال المسلمين قبل التحكيم"[٣].

❁الرأي الثالث: طبقة القراء:-

تتباين مواقف المؤرخين والمستشرقين إزاء انتساب الخوارج لطبقة

---

(1) تيارات الفكر الإسلامي. الدكتور: محمد عمارة ص ١٤. دار الشروق – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

(2) الطبري ٣/ ١١٤

(3) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية. الدكتور: عرفان عبد الحميد ص ٦٧، ٦٨ مطبعة الإرشاد – بغداد – الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

القراء.

يرى برنوف[١] أن طبقة القراء لم يكونوا نواة للخوارج، حيث لا يمكن أن يكون القراء الذين حاربوا في الحروب الإسلامية، وأبلوا فيها بلاءً حسنا، حتى حروبهم مع علي ﷺ، لا يمكن أن يكونوا هم من طالبوا عليًّا ﷺ بوقف القتال، ولا يمكن أن يبدلوا مواقفهم بهذه السرعة "حيث إن التحول المفاجئ لدى الجماعة نفسها أمر غير ممكن، فهو يرى أن يوزع هذه الأعمال المتناقضة على جماعات مختلفة لا جماعة واحدة هي جماعة القراء، فالقراء أوقفوا القتال، ثم احتج الخوارج بعد ذلك على وقف القتال"[٢].

بينما يرى فلهوزن أن من الممكن أن يكون هؤلاء القراء هم نواة الخوارج، ولا حاجة إلى توزيع أدوار الموافقة والرفض على فريقين مختلفين " أمن الضروري توكيد وجود هوة بين جماعة القراء وجماعة الخوارج من أجل أن نوزع دور السقوط ودور النهوض على فريقين مختلفين... لقد أخطأوا، وبعد خطيئتهم رجعوا عن باطلهم، وأيقنوا بما بان لهم أنه جوهر الإيمان، وعدوا أن الحيرة الطارئة التي ألمت بهم كانت ذنبا عظيما، فوطنوا العزم على بذل أقصى المجهود في الكفارة عنه فالباعث إذن على ظهور الخوارج، وعلى

(1) برنوف: تخرج باللغات الشرقية والتركية والفارسية والعربية من معهد لازاريف، وعلم فيه العربية، ثم عين أستاذ كرسي في المعهد الشرقي بموسكو، انتخب رئيسا لمعهد العلوم الشرقية، من آثاره:"منتخبات عربية" توفي ١٨٩٢. موسوعة المستشرقين.

(2) الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن ص ٣٢.

كيفية سلوكهم هو التوبة"[١].

فالقراء وافقوا على التحكيم أول الأمر لما فيه من حقن دماء المسلمين، ثم عدلوا عن موقفهم عندما شعروا أنهم خدعوا، وجعلوا ذلك ذنبا عظيما تابوا منه، وطلبوا من علي ﷺ أن يتوب منه أيضا "لقد دعا القراء لقبول التحكيم لأن عمرو بن العاص رفع القرآن على أسنة الرماح، ثم دعوه إلى رفض التحكيم لأن آية من القرآن قد حكمت في موضوع التحكيم"[٢].

ومن الممكن أن يقال: إن فريقا من هؤلاء القراء كانوا من الذين رفضوا التحكيم، وأصروا على ذلك، بحكم مواقفهم السابقة، وشدة اقتناعهم بآرائهم، لكن لا يمكن القول إن طبقة القراء كانت كلها على هذا الموقف، أو أنهم كانوا نواة لفرقة الخوارج.

۞الرأي الرابع: الخوارج والسبئية: -

يذهب بعض كتاب الفرق والمؤرخين إلى أن أصول الخوارج تعود إلى السبئية بزعامة عبد الله بن سبأ[٣]، ويستندون إلى روايات أوردها الطبري أن بعضا من زعماء الخوارج اشتركوا في مقتل عثمان ﷺ[٤]، وكثير ممن كان مع عليّ ﷺ في موقعة الجمل بذلوا جهودا مكثفة لعدم عقد الصلح بين

---

(1) السابق ص ٣٧.

(2) تيارات الفكر الإسلامي. الدكتور: محمد عمارة، ص ١٢.

(3) عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية، كانت تقول بألوهية عليّ ﷺ، أصله من اليمن، كان يهوديا وأظهر الإسلام، دخل دمشق أيام عثمان وأخرجه أهلها، فجهر ببدعته بمصر، كان يقول بالرجعة.لسان الميزان٣/ ٢٨٩، تهذيب ابن عساكر٧/ ٤٢٨.

(4) الطبري ٢/ ٦٩٩.

الطرفين حتى لا يُؤاخذوا على اشتراكهم في مقتل عثمان ﷺ[(١)].

واستنادا إلى هذه الروايات يرى البعض أن بعض زعماء الخوارج كان من السبئية.

وقد رد فلهوزن على هذا الرأي بأن "التلقيب بالسبئية إنما كان يطلق على الشيعة وحدهم، واستعماله الدقيق ينطبق على غلاة الشيعة فحسب... والخوارج أنفسهم كانوا ينعتون خصومهم الشيعة في الكوفة بنعت السبئية تحقيرا وذما لهم... ولم يكن الخوارج فرقة صغيرة مغمورة في الظلام، ولم يأتوا بأمر غريب أو مستنكر، بل كانوا ظاهرين علنا على أساس واسع كأوسع ما يكون الأساس، ولم يكونوا يلجؤون إلى المؤامرات، ولا إلى تكوين الشعب المنتشرة في مختلف المواطن، ولم يسيطر على شئونهم تنظيم سري معقد، إنما كانت لهم مبادئ"[(٢)].

❁الرأي الخامس: عرب البادية: –

يرى برنوف أن أكثرية الخوارج كانوا من البدو الخلص، ومما يؤيد ذلك "أن النزعة الديمقراطية التي سادت حركتهم، وقولهم بالانتخاب الحر غير المقيد، فإنها لم تلق قبولا كبيرا من الموالي، ذلك لأن النزعة البدوية المتبلورة في الاعتداد بالنفس، وتصغير شأن الآخرين كان مانعا من دخول الموالي في حركتهم"[(٣)].

---

(1) السابق ٣/ ٤٠.

(2) الخوارج والشيعة. فلهوزن، ص٣٨ –٣٩، ويلاحظ في هذا الكلام أيضا نزعة تمجيد للخوارج، وتبرير لأعمالهم، كعادة المستشرقين.

(3) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، الدكتور: عرفان عبد الحميد، ص٧٠.

ومما يرجح بداوتهم أيضا بعض خصالهم التي امتازوا بها، والتي هي أقرب ما تكون إلى خصال البدو وعاداتهم "فهم مطبوعون إلى درجة كبيرة بالصبغة البدوية في محاسنها ومساوئها، فهم كثيرو الخلاف على الرؤساء، محدودو النظر، ضيقوا الفكر، وهم مع ذلك شجعان إلى أقصى حدود الشجاعة، صرحاء في أقوالهم وأفعالهم"[١].

لكن فلهوزن يرفض هذا الرأي أيضا، وينفي أن تكون أصول الخوارج من العرب البدو الخلص، فهو يقرر أن "عرب الكوفة والبصرة كانوا جميعا تقريبا من البدو، بمعنى أنهم جاءوا من قبائل تقيم بالبادية، ولكن هذا لا يدل على شيء بالنسبة إلى الخوارج؛ لأن رابطتهم بقبائل البادية كانت قد انخلعت منذ هجرتهم، أعني منذ ارتحالهم إلى مدائن الجيوش... أما البدو الخلص الذين احتفظوا بطباعهم الأصيلة فقد ظلوا بعيدين عن الحركات والأحزاب الدينية السياسية"[٢].

فهو يرى أن انتقالهم من البادية إلى المدن التي أقاموا بها قد قطع صلتهم بالبادية التي خرجوا منها، وانحلت الرابطة التي كانت تربطهم بها ومن أقام بالبادية ولم يهاجر إلى تلك المدن فإنه ظل بعيدا عن الثورات والحركات السياسية وسائر الفرق والمذاهب التي ظهرت وقت ذاك.

لكن يمكن الجمع بين الرأيين بأن أولئك البدو المهاجرين حملوا معهم الصفات البدوية، والخصائص التي يتميز بها مجتمع البدو "لأن الواقع أن

---

(1) تاريخ الفرق الإسلامية، الدكتور: أحمد مجاهد مصباح، ومحمود محمد زيادة، ص٧٠. دار الطباعة المحمدية ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م.

(2) الخوارج والشيعة ص ٣٣.

سكان البصرة والكوفة كانوا بأكثريتهم من العرب البدو الذين اشتركوا في الحروب الفارسية، ونقلوا معهم إلى المدينتين جميع الفضائل والمساوئ التي ينعم بها البدو"[(١)].

هذه العوامل مجتمعة كان لها دور في ظهور تيار الخوارج، يتفاوت هذا الدور من عامل لآخر، لكن لا يمكن الجزم أن عاملا منها وحده كان سببا في ظهور الخوارج على مسرح الأحداث.

يضاف إلى ذلك أن هذه طبيعة أي منهج يلتزم به مجموعة من الأفراد، لا بد أن تتباين رغباتهم وأفكارهم، وتتنوع مشاربهم، وعلى هذا يمكن القول أن من أسباب ظهور الخوارج وجود **"علة نفسية جبلية، وهي أن النفوس البشرية لا تنضبط دائما على المنهج العدل الوسط، بل تجنح عنه ذات اليمين أو ذات الشمال، إما الإيغال المهلك، وإما التفريط المسرف، وقد وقعت الخوارج في الأول، كما وقعت المرجئة في الآخر"**[(٢)].

(1) الخوارج في الإسلام. الأستاذ: عمر أبو النصر، ص ١٤. مكتبة المعارف–بيروت.

(2) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، الدكتور: سفر بن عبد الرحمن الحوالي ١/ ٣٠٠. رسالة دكتوراة، مكتبة الطيب – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

obeikandl.com

۞ المبحث الثاني: أسماء أطلقت عليهم وموقفهم منها

تتعدد الأسماء التي تطلق على فرقة من الفرق الإسلامية، منها ما يكون في معرض المدح، ومنها ما يكون في معرض الذم. بعض هذه الأسماء يطلقها أنصار الفرقة عليها، وبعض آخر يطلقه عليها الخصوم، خاصة إذا "كانت التسميات والأسماء هي الأخرى أسلحة في الصراع!... وحتى بعد أن استقرت وغلبت على أصحابها ظلت التفسيرات لها والتخريجات لمعانيها تبحث عن السبل التي تجعلها فاعلة ومؤثرة في هذا الصراع"[(١)].

۞وقد أطلق على الخوارج أسماء عدة منها: –

١ – الخوارج:–

وهو أشهر أسماء هذه الفرقة والذي به عُرفت، وهو جمع خارج، وهم الذين خرجوا على الإمام عليّ في حروراء ومن نشأ منهم بعد ذلك[(٢)].

ونظرة المدح في هذا الاسم تستند إلى أنه مصطلح ورد في القرآن الكريم، واستعمل في الخروج في سبيل الله تعالى ونصرة دينه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[(٣)]، وورد مرة أخرى في قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾[(٤)]، فهم يزعمون أن خروجهم إنما هو لله تعالى وفي

(1) تيارات الفكر الإسلامي، الدكتور: محمد عمارة ص ١٦

(2) سبق الحديث عن التعريف

(3) سورة النساء آية ١٠١.

(4) سورة التوبة من الآية ٤٦.

سبيله.

"والخروج يعني الثورة في العرف اللغوي، فلما شاع هذا الاسم قبلوه، وقالوا: إن خروجهم إنما هو على أئمة الجور والفسق والضعف، ومن ثم فإنه هو الموقف الإسلامي الوحيد الذي يرضاه الإسلام، وقالوا: إن الخروج عن الدين مروق يسمى أصحابه المارقة، أما الخروج إلى الدين فإن أصحابه هم الذين يسمون الخوارج والخارجة، لأن خروجهم هو إلى الجهاد في سبيل الله"[١].

فهم يعدون هذا الاسم شرفا لهم، وعنوانا على جهادهم في سبيل الله تعالى ونصرة دينه في مقابل أئمة الجور والفساد.

أما نظرة الذم في هذا الاسم، فإن خصومهم يفسرون الاسم تفسيرا يلحق بهم الذم، فيرون أن **"الخروج هو عصيان الإمام الحق، والتأليب عليه، وخلع طاعته، والخروج عن جماعة المسلمين"**[٢].

وقد وردت هذه التسمية في شعر الخوارج كثيرا، من ذلك قول عيسى بن فاتك[٣]:

أألفا مؤمن فيما زعمتم ... ويقتلهم بآسك أربعونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ... ولكن الخوارج مؤمنونا

---

(1) تيارات الفكر الإسلامي، ص ١٤.

(2) مقالات الإسلاميين ١/ ١٦٧، ٢٠٧، الملل والنحل ١/ ١٠٥.

(3) عيسى بن فاتك الخطي، أحد بني تيم، كان من الذين خرجوا مع أبي بلال مرداس بن أدية، وله شعر جيد. معجم البلدان ٢/ ٣٧٨

هـم الفئـة القليلـة غـير شـك عـلى الفئـة الكثـيرة ينـصرونا[١]

وكتب قطري بن الفجاءة[٢] - وكان من شعرائهم - لأبي خالد القناني، وكان من قعدة الخوارج، يحثه على الخروج:

أبـا خالـد انفـر فلـست بخالـد وما جعـل الـرحمن عـذرا لقاعـد

أتـزعم أن الخـارجي عـلى الهـدى وأنـت مقـيم بـين لـص وجاحـد

فكتب إليه أبو خالد:

لقـد زاد الحيـاة إلىّ حبـا بنـاتي إنهـن مـن الـضعاف

أتـزعم أن الخـارجي عـلى الهـدى وأن يـشربن رنقـا بعـد صـاف

وأن يعـرين إن كـسي الجـواري فتنبـو العـين عـن كـرم عجـاف

ولـولا ذاك قـد سـوقت مهـري وفي الـرحمن للـضعفاء كـاف

أبانـا مـن لنـا إن غبـت عنـا وصـار الحـي بعـدك في اخـتلاف

وهذا خلاف ما قاله عمران بن حطان[٣]:-

لقـد زاد الحيـاة إلى بغـضا وحبـا للخـروج أبـو بـلال

أحـاذر أن أمـوت عـلى فـراشي وأرجـو المـوت تحـت ذوي العـوالي

ولـو أني علمـت بـأن حتفـي كحتـف أبي بـلال لم أبـالي

---

(1) أخبار الخوارج من كتاب الكامل للمبرد ص ٦٣، ديوان الخوارج د/ نايف معروف، ص١٥٦، دار المسيرة- بيروت - ط الأولى. وآسك: من نواحي الأهواز، بينها وبين أرجان يومان، وهي بلدة ذات نخيل ومياة، كانت بها وقعة للخوارج.معجم البلدان ١/ ٥٣.

(2) قطري بن الفجاءة: ستأتي ترجمته في زعماء الخوارج.

(3) ستأتي ترجمته في زعماء الخوارج.

فمـــن يـــك همـــه الـــدنيا فـــإني هـــا والله رب البيـــت قـــالي[1]

٢- الشراة: -

جمع شار، وهذا الاسم ينظر له الخوارج على أنه مدح أيضا، فيرون أن الشاري اسم فاعل من الشراء، لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى، وقيل: سموا بذلك لقولهم: إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة، ويتمسكون بالآية الكريمة ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2].

"وشرى الشيء يشريه واشتراه: باعه، والعرب تقول لكل من ترك شيئا وتمسك بغيره قد اشتراه"[3].

وقد أطلق الاسم على من خرج على الإمام بعد ذلك، ومن ذلك حديث ابن عمر أنه جمع بنيه حين أشرى أهل المدينة مع ابن الزبير وخلعوا بيعة يزيد، أي صاروا كالشراة في فعلهم، وهم الخوارج[4].

فصار الاسم يراد به مطلق من خرج على الإمام وأعلن عصيانه من الخوارج أم من غيرهم.

أما الخصوم فلهم تخريج للاسم يلحق بأصحابه المذمة "فالشاري: اسم فاعل من شرى الشر: إذا استطار وزاد وتفاقم، وقالوا: شرى الرجل

---

(1) أخبار الخوارج من الكامل ص ٧، ٨

(2) سورة البقرة من الآية ٢٠٧.

(3) لسان العرب ١٤/ ٤٢٧ – ٤٢٩

(4) السابق، نفس الجزء والصفحة.

كرضي إذا غضب ولج في الخصومة"[١].

"والشاري شديد الالحاح، فهو مشتق من الرجل إذا ألح، وهم شديدو الإلحاح على ما يطلبون"[٢].

وقد ورد هذا الاسم في شعر الخوارج كثيرا، فمنه قول القائل:

سلام على من بايع الله شاريا ... وليس على الحزب المقيم سلام[٣]

وفيهم يقول عمران بن حطان:-

إني أدين بما دان الشراة به ... يوم النخيلة عند الجوسق الخرب[٤]

ويقول شاعرهم الطرماح بن حكيم[٥] رافعا من شأن المذهب:-

لله در الشراة إنهم ... إذا الكرى مال بالطلا أرقوا

يُرجّعون الحنين آونة ... وإن علا ساعة بينهم شهقوا

خوفا تبيت القلوب واجفة ... تكاد منها الصدور تنفلق

كيف أُرجِّي الحياة بعدهم ... وقد مضى مؤنسي فانطلقوا

---

(1) اللسان ٤/ ٤٢٩، أساس البلاغة للزمخشري ١/ ٤٩٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.

(2) تيارات الفكر الإسلامي ص ١٦.

(3) البيت لمعدان الإيادي، أخبار الخوارج من الكامل ص ٥، ديوان الخوارج ص١٩٩.

(4) أخبار الخوارج من الكامل ص ٥٣.

(5) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيئ، شاعر إسلامي فحل، لد في الشام وانتقل على الكوفة، واعتنق مذهب الشراة، اتصل بخالد بن عبد الله القسري فكان يكرمه ويستزيد شعره، وكان هجّاءً.

قــوم شــجاع عــلى اعتقــادهم بــالفوز ممــا يخــاف قــد وثقــوا[١]

وورد في قول شاعرهم صالح بن مخراق[٢]:

إني لمــــذك للــــشراة نارهــــا ومــــانع ممــــن أتاهــــا دارهــــا

وغاسل بالطعن عنها عارها[٣]

٣- الحرورية:-

بعد رجوع عليّ ﷺ من صفين إلى الكوفة انحاز الخوارج إلى حروراء، وسموا حرورية لذلك[٤].

وفي بعض الروايات أن الذي سماهم بذلك الإمام عليّ ﷺ لما تجمعوا بحروراء قال لهم: ما نسميكم؟ ثم قال: أنتم الحرورية؛ لاجتماعكم بحروراء[٥].

وقد وردت هذه التسمية على لسان السيدة عائشة ﷺ في الحديث عن معاذة بنت عبد الله أن امرأة قالت لعائشة: أتجزي إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقال: أحرورية أنت؟! كنا نحيض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا به، أو قالت: فلا نفعله[٦].

---

(1) ديوان الخوارج، الدكتور: نايف معروف ص ٨٦.

(2) صالح بن مخراق: من رؤساء الخوارج، اختلف مع قطري بن الفجاءة، فحمل فتى من الشراة على صالح فطعنه فأنفذه، وذلك سنة ٧٢هـ. الطبري ٣/ ٥٢٨

(3) أخبار الخوارج من الكامل ص ١٣٩، شرح نهج البلاغة ٤/ ١٨٧

(4) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٧، الفرق بين الفرق ص ٧٥، الملل والنحل ١/ ١٠٧

(5) أخبار الخوارج من الكامل، ص ١٨

(6) رواه البخاري: كتاب "الحيض" باب " لا تقضي الحائض الصلاة" ١/ ٥١ رقم

وبهذا الاسم أشار إليهم الصلتان العبدي[١] في قوله:

أرى أمـــة قـــد شـــهرت ســـيفها وقـــد زيـــد في ســـيفها الأصـــبحي
فملتنـــــا أننـــــا المـــــسلمون عـــلى ديـــن صـــدِّيقنا والنـــبي[٢]

وقد ورد أيضا في شعر خصومهم، في قول القعقاع بن عطية الباهلي[٣]:

أقـــاتلهم ولـــيس عـــليّ بعـــث نـــشاطا لـــيس هـــذا بالنـــشاط
أكـــر عـــلى الحـــروريين مهـــري لأحملهـــم عـــلى وضـــح الـــصراط[٤]

٤- المحكمة: -

وإنما سموا محكمة لانكارهم التحكيم، وقولهم "لا حكم إلا لله"، وقد سموا: الحكمية. وقد أجمعت كل فرق الخوارج على إنكار التحكيم ولم

رقم ٣٢١. ومسلم: كتاب "الحيض" باب "وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة" ١/ ٢٦٥ رقم ٣٣٥.

(1) الصلتان العبدي: قثم بن خبية العبدي، من بني محارب بن عمرو، شاعر حكيم، له قصيدة في الحكم بين جرير والفرذدق فضل فيها شعر جرير وقوم الفرزدق، توفي سنة ٨٠هـ. الأعلام ٥/ ١٩٠.

(2) أخبار الخوارج من الكامل ص ١٨، شرح نهج البلاغة ٤/ ١٣٣.

(3) القعقاع بن عطية الباهلي، من الشعراء، كان مقيما في خراسان، ذهب إلى الحج فوجد حربا مع الخوارج فقاتل حتى قُتل. الأعلام ٥/ ٢٠١.

(4) أخبار الخوارج من الكامل ص ٦٤. وقصة البيت أنه خرج يريد الحج فرأى القتال بين جند عبيد الله بن زياد وبين الخوارج، فقال: ما هذا؟ قالوا: الشراة، فحمل عليهم فأخذ أسيرا، فأتي به أبو بلال فقال: ما أنت؟ قال: لست من أعدائك، وإنما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه، فرجع إلى عباد فأصلح من شأنه، ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول هذه الأبيات.

يخالف منهم أحد.

٥- النواصب: -

والنواصب قوم يتدينون ببغضة علي عليه السلام [(١)]، وهو من" ناصبت لفلان: عاديته نصبا، ومنه: الناصبية والنواصب، وأهل النَّصب: الذين ينصبون لعلي كرم الله تعالى وجهه"[(٢)].

٦- المارقة: -

وهو من مرق السهم من الرمية: خرج من الجانب الآخر، والمروق: الخروج من شيء من غير مدخله، والمارقة: الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه، ومنه سميت الخوارج مارقة[(٣)].

وجدير بالذكر أن الخوارج يرضون بهذه الألقاب كلها إلا المارقة، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين[(٤)].

هذه الأسماء أطلقت على الخوارج، وما يوافق عليها الخوارج منها يفسرونه تفسيرا يُعلي قدرهم، ويرفع شأنهم، على حين يفسره الخصوم تفسيرا يلحق بهم المذمة ويجعل الاسم عنوانا على مبادئهم وآرائهم.

(1) لسان العرب ١/ ٧٦٢.
(2) أساس البلاغة ٢/ ٤٤٦.
(3) لسان العرب ١٠/ ٣٤١، أساس البلاغة ٢/ ٣٨٠، ٣٨١.
(4) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٧.

obeikandi.com